اليهود ودورهم في التراث البغدادي

د. لقاء شاكر الشريفي
مركز احياء التراث العلمي العربي - قسم توثيق بغداد

الخلاصة
يسلط البحث الضوء على طائفة دينية مهمة كان لها دور أساس في تركيبة المجتمع العراقي عامة والمجتمع البغدادي بشكل خاص أذ كان لليهود عامة والمرأة اليهودية بشكل خاص دور ومساهمة فاعلة في ثقافة وتراث المجتمع البغدادي ومن هنا جاءت فكرة دراسة نشاطات اليهود وأسهاماتهم الثقافية من خلال تسليط الضوء على النشاط التربوي والثقافي والفني للمراءة اليهودية أنموذجا للدراسة

Jews and their role in the heritage of Baghdadi

Dr. leqaa shaker al sharifi
Center for Revival of Arab Scientific Heritage - Baghdad Documentation Dept.

Abstract
The research sheds light on an important religious sect that played a fundamental role in the structure of the Iraqi society in general and the Baghdadi society in particular, in which the Jews in general and the Jewish women in particular played an active role in the culture and heritage of Baghdadi society. The educational, cultural and artistic activity of Jewish literacy is a model for study.

المقدمة
ان اليهود كطائفة دينية عاشوا في العراق منذ أقدم العصور الى جانب المسلمين وتمتعوا بكافة حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما كان ذلك الامر مدعاة لتميزهم في النشاطات الفنية والثقافية في بغداد حيث كانت لهم بصمة في التراث البغدادي أذ ظهر منهم من ابدع في الغناء مثل الفنانه سليمة مراد ومنهم من كان له دور في الاشتغال في الفرقة الموسيقية البغدادية مثل الاخوان صالح الكويتي وداود الكويتي
وتمتع أفراد الطائفة اليهودية بحقهم في التعبير عن الرأي والتعليم وممارسة الطقوس والشعائر الدينيية كما حصلت المرأة اليهودية على حقها في التعليم، فكانت اما طالبة او معلمة اسست العديد من المدارس التعليمية او الدينية التي ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل مدرسة مسعودة سلمان ومسعودة شمطوب وبذلك
كان اليهود يشكلون جزء من المجتمع البغدادي لدرجة يصعب تميزهم فهم يتكلمون اللغة البغدادية ويرتدون الزي البغدادي في محلات بغداد مثل عكد اليهود ومحلة التوراة والفضل والبتاوين وسيد سلطان علي

تاريخ الاقلية اليهودية في العراق
ان اقدم وجود لليهود في ارض الرافدين يعود للقرن السابع قبل الميلاد ،وهي الفترة التي حكم بها الاشوريون دولة العراق وبدؤا بالتزايد بعد السبي البابلي للملك العراقي نبوخذ نصر لليهود عام ٥٨٦ قبل الميلاد،حيث قضى على مملكة يهوذا في جنوب فلسطين وجاء بهم الى العاصمة بابل واسكن تلك الاف المسبية من اليهود في المدن والقرى المجاورة لبابل [١]

استفاد اليهود في بابل من مسالة تسامح المسلمين مع الديانات الاخرى،وجاء هذا التسامح تطبيقا لما ذكره الله تعالى في الكثير من النصوص القرأنية التي تشير الى احترام اصحاب الكتب السماوية من غير المسلمين في معتقداتهم وديانتهم ويؤكد ذلك قوله تعالى :((لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) [٢] وقوله تعالى ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ماأتاكم)) [٣] وقوله تعالى ((وما كان الناس الا امة واحدة فأختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون))[٤] . واستنادا الى ذلك تمكن اليهود من العيش في العراق بشكل طبيعي فأشتروا الاراضي الزراعية ومارسوا حرفة الزراعة [٥] اما ديانتهم فقد مارسوا شعائرها بكل حرية ،فتمخض عن ذلك كتابة التلمود البابلي [٦] ،الذي ضم بين طياته التعاليم اليهودية [٧]
وعمل أفراد الطائفة اليهودية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومارسوا المهن المختلفة والصناعات العديدة وتطورت اوضاعهم في ظل الدولة العثمانية لاسيما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، الذي حكم للفترة من (١٨٧٦ – ١٩٠٩) وتم في عهده أعلان مبدأ الحرية والمساواة في القا نون لجميع مواطني الدولة العثمانية بغض النظر عن ديانتهم ومذاهبهم وذلك في ٢٣ كانون الاول ١٨٧٦ [٨] أضافة الى تأسيس مجلس عام يتالف من مجلسين :المبعوثان (النواب) والاعيان (الشيوخ) الذي أفتتح في ١٩ أذار ١٨٧٧ في وسط تهليل الطائفة اليهودية ، التي رحبت بهذا

الاعلان وأعتبرته تثبيت لحقوقها كأقلية في العراق [٩] وكان اول الممثلين في هذا المجلس هو اليهودي (مناحيم دانيال) [١٠] ممثلا عن الطائفة اليهودية في بغداد ,الا ان عدم جدية السلطان عبد الحميد الثاني في اصلاحاتة قد خيبت امال الكثير من ابناء ألطائفة اليهودية مما ساهم ذلك في تردي أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية [١١]

وأستبشر يهود العراق بالأنقلاب , الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي في ٢٣ تموز ١٩٠٨ والذي اكد على المساواة في الحقوق والواجبات بين كل رعايا الدولة العثمانية ومن ضنهم الطائفة اليهودية , التي انتخبت ساسون حسقيل [١٢] نائبا ممثلا عنهم في مجلس المبعوثان الذي عقد في اسطنبول بعد أعلان الدستور وتجدد انتخاب ساسون حسقيل في دورات المجلس جميعها حتى قيام الحرب العالمية الاولى وبذلك اصبح لليهود دورا فعالا في الحياة السياسية كما كان لهم ايضا رأي في كافة قرارات مجلس المبعوثان .

أما بالنسبة للجانب الاقتصادي , فقد برز اليهود بشكل واضح في تجارة العراق المحلية لا ينافسهم في ذلك أحد . ولم يكن يهود بغداد هم الوحيدين الذين لعبوا دورا مهما في الحياة الاقتصادية في العراق بل كان شأنهم في ذلك متشابه مع بقية يهود مدن العراق في البصرة والموصل والناصرية والعمارة [١٣] لاسيما بعد افتتاح قناة السويس في ١٧ تشرين الثاني ١٨٦٩، الامر الذي ساهم في توسيع النشاط التجاري وزيادة اهمية البصرة كميناء تجاري مماشجع الكثير من اليهود في التوجه الى البصرة والاستقرار والسكن فيها وبرزت على سبيل ذلك عوائل يهودية في هذا المجال مثل عائلة شفيق عدس وعائلة عزرا حداد وعائلة شمويل شلمون وبذلك ارتفع عدد العوائل اليهودية في البصرةعام ١٩٠٠الى ١٥٠٠عائلة يهودية[١٤]

وبرز نشاط أليهود ألتجاري في محافظات العراق الاخرى , فعلا سبيل المثيل مارس يهود بغداد كافة الانشطة التجارية والاقتصادية مثل تجارة الحبوب كالرز والعدس والحمص والجلود التي تستخدم في صنع الحقائب والاحذية والاقمشة بأنواعها في حين عمل يهود الحلة وبابل في شراء بساتين النخيل والفاكهة وحقول الحبوب اما يهود المناطق الغربية كالفلوجة والرمادي فقد عملوا في زراعة وبيع المحاصيل الزراعية كالشلب والقطن والحنطة [١٥] وفي الجانب الاجتماعي , فيمكن القول ان اليهود قد تعايشوا مع المجتمع العراقي جنبا الى جنب الى درجة لايمكن تميزهم ويشير الى هذه الحقيقة الكاتب المعروف وليد خدوري اذ يقول مانصه:((ان يهود العراق كانوا يشكلون جزءا لايتجزء من المجتمع , وكانت ممارستهم الثقافية والاجتماعية هي ممارسات السكان في مجموعهم ...وكانت اليهود طائفة معربة تماما فقد كان اليهود يتحدثون العربية فيما بينهم ويستخدمون العربية في شعائرهم الدينية وكانت حياتهم الاجتماعية هي حياة العرب...)) [١٦]

يتضح مما سبق ذكره ان ابناء الطائفة اليهودية كان جزءا من عادات المجتمع وتقاليده فعلا سبيل المثال كان اليهود في شمال العراق يتحدثون اللغة الكردية ويرتدون الزي الكردي كما كان يهود بغداد يرتدون الزي البغدادي ويتحدثون اللغة البغدادية في اغلب محلات ومناطق بغداد القديمة مثل ابو سيفين وعكد اليهود ومحلة الذهب ومحلة سيد سلطان علي والبتاوين والكسرة [١٧]

اما بالنسبة للجانب التعليمي والثقافي , فقد حققت الطائفة اليهودية قدرا كبيرا من التقدم , اذ مارست مؤسسات اليهود التعليمية نشاطها في العراق منذ عام ١٨٨٣ وكانت اول مدرسة لهم تعرف بمدرسة تلمود مدراش (Midrash Talmud) وهي مدرسة يغلب عليها الطابع الديني وتشبه في عملها (الكتاتيب) التي انتشرت في العراق[١٨] واخذت مؤسسات الطائفة اليهودية تشهد تطورا ملحوظا في العراق لاسيما في بداية القرن العشرين اذ اصبح للمرأة اليهودية نشاطا ثقافيا واضحا فتمتعت في ضوء ذلك المرأة اليهودية بكافة حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية , اضافة الى حقها في التعليم والتعلم وممارسة مختلف الانشطة الثقافية ويمكن تتبع نشاط المرأة اليهودية في عدة مجالات اهمها

اولا : التعليم

لم يبخس المجتمع العراقي حق المرأة اليهودية في التربية والتعليم بل اعطاها في ظل التسامح الديني مطلق الحرية في انشاء مؤسسات تعليمية دينية او تعليمية تربوية وظهرت في هذا المجال مجموعة من اليهوديات اللاتي كان لهن دور واضح في المسيرة التعليمية مثل:

١) مدرسة لورا خضوري : وهي سيدة يهودية أسست عام ١٨٩٣ مدرسة لتعليم البنات اليهوديات القراءة والكتابة , وتعد اول مدرسة لتعليم ألبنات الدراسة الابتدائية وقد بلغ عدد الطالبات اليهوديات في بداية تأسيسها (عشرون طالبة) في مرحلة الابتدائية [١٩] وقام السيد ايليا خضوري عام ١٩١١ بتشييد بناية في منطقة الشورجة في بغداد واحدة لرياض الاطفال واخرى للدراسة المتوسطة واطلق عليها اسم مدرسة(لورا خضوري)تخليدا لذكرى زوجته الراحلة التي توفيت في العام نفسة [٢٠]

واهم ما يميز مدرسة لورا خضوري بانها كانت اول مدرسة لتعليم البنات في العراق واستطاعت هذه المدرسة ان تغير نظرة المجتمع العراقي نحو تعليم البنات مع بداية القرن العشرين في مجتمع يرزح تحت التخلف والعادات والتقاليد الاجتماعية ، اذ تمكنت مدرسة (لورا خضوري) ان تجذب اليها مجموعة من الطالبات المسلمات والمسيحيات وتعد من اهم المدارس في بغداد , اذ اشتهرت بأنضباطها العالي وسمعتها الجيدة , اضافة الى منهاجها الدراسي الجيد والذي يشمل دراسة مختلف العلوم مثل اللغة الانكليزية واللغة العربية واللغة الفرنسية والرياضيات والموسيقى والعلوم الطبيعية كما كان فيها صفوف لتعليم فن الخياطة والتطريز , وقد فازت معروضات هذه المدرسة بجائزة الملك فيصل الاول الذهبية للمعرض الصناعي الذي اقيم في بغداد عام ١٩٣٢ [٢١]

٢) مدرسة رفقة نورائيل : وهي مدرسة لتعليم البنات في بغداد في منطقة عكد اليهود اسستها اليهودية الثرية (رفقة نورائيل) عام ١٩٠٢وكانت البناية في بادئ الامر مخصصة للدراسة الابتدائية ولا تحتوي اكثر من ستة صفوف وكادر تدريسي بسيط وكانت (رفقة نورائيل) تقوم نفسها بتعليم الطالبات اللغة العبرية وطقوس الديانة اليهودية [٢٢] مع مرور الوقت تزايد عدد الطالبات فاصبح (٣٣٩)طالبة عام ١٩٢٠ وتزايد العدد عام ١٩٢٥ حيث اصبح (٤٥٠) طالبة . وترجع هذه الزيادة الى قبول طالبات من غير الطائفة اليهودية من المسلمات والمسيحيات الذين بلغ تعداد طالبات المدرسة مع وجودهن (٨٢٠) طالبة عام ١٩٣٠ وتتلقى البنات في هذه المدرسة مختلف العلوم مثل اللغة العربية واللغة الفرنسية والرياضيات اضافة الى درس الموسيقى [٢٣]

٣) مدرسة مدراش مندالي : وهي عبارة عن مدرسة دينية تأسست عام ١٩٠٧ من قبل يهودي ابراهيم سلمان تخليدا ذكرى اختة مندالي , وهي امرأة يهودية تسكن بغداد في منطقة التكية وكانت قبل وفاتها عام ١٩٠٦ تقوم بتجميع بنات الطائفة اليهودية في دارها , اذ كانت تلقي عليهن بعض الدروس في اصول الديانة اليهودية [٢٤] ويمكن القول ان مدرسة مدراش مندالي اقتصرت على تعليم البنات اليهوديات كونها في الاساس مدرسة دينية ولذلك لايوجد في صفوف هذه المدرسة طالبات من المسلمات او المسيحيات

٤) مدرسة راحيل شمعون الابتدائية للبنين : في الوقت الذي انتشرت فيه مدارس للبنات اليهوديات , كان هنالك مدارس خاصة للبنين ايضا , اذ اسس اليهودي الثري ايليا شمعون مدرسة الابتدائية للذكور عام ١٩٢٢ بمنطقة التكية في بغداد (وهي الان عبارة عن خرابة) وكان كادر المدرسة التدريسي يشمل اضافة الى المعلمات اليهوديات بعض المعلمات والمعلمين من المسلمين , وذلك لوجود طلاب مسلمين وصل عدد الطلاب عام ١٩٣٠ الى حوالي (٤٥٠) طالب ذكر مقسمين حسب الاتي (٢٥٠) من اليهود و (١٠٠) من المسلمين و (١٠٠) من المسيحين [٢٥]

٥) مدرسة فردوس الاولاد الابتدائية للبنين : تأسست في بغداد عام ١٩٢٤ ويدير شؤونها اليهودي (اهرون ساسون) وتشرف عليها المعلمة اليهودية مسعودة ساسون التي كانت تقوم بجمع التبرعات الخيرية للمدرسة كما كانت تقوم بتدريس الطلاب من اليهود اللغة العبرية ومبادئ الديانة الموسوية . وبلغ عدد الطلاب عام ١٩٣١ حوالي (٣١٦) طالب ذكر [٢٦]

٦) مدرسة طوبة نورائيل الابتدائية للبنات : أسستها في بغداد الثرية اليهودية طوبة نورائيل عام ١٩٢٤ وكانت تدرس مختلف العلوم اضافة الى اللغة العبرية ويوجد ضمن بناية المدرسة صفوف رياض الاطفال وكان مسجل فيها عام ١٩٢٤ حوالي (١٠٥) اما طلاب المدرسة فقد وصل عددهم للعام الدراسي ١٩٤٩ – ١٩٥٠ حوالي (٣٦٦) طالبا [٢٧]

٧) مدرسة مسعودة سلمان الابتدائية للبنين : اسستها اليهودية مسعودة سلمان بمنطقة التكية في بغداد عام ١٩٣٠ وكانت مسعودة سلمان تقوم الى جانب تدريس الطلاب بتعليم طلاب اليهود الصلاة في كنيس مخصص بأسمها في المدرسة وكان عدد طلاب المدرسة عام ١٩٣٠ (١٥٥) طالب في حين وصل عدد الطلاب للعام الدراسي ١٩٤٩- ١٩٥٠ الى حوالي (٣١٣) طالب [٢٨]

٨) مدرسة مسعودة شمطوب الابتدائية للبنين :اسستها اليهودية مسعودة شمطوب في بغداد عام ١٩٤٦وتضم المدرسة كنيس ملحق بها لتعليم الدين اليهودي ،اضافة الى صفوف رياض الاطفال ،وقد بلغ عدد طلابها للعام الدراسي (١٩٤٩- ١٩٥٠) حوالي (٤٥٢)[٢٩]

٩) المدرسة المهنية للبنات:اسستها ماري شمعون بمنطقة الميدان في بغداد عام ١٩٣٠،وضمت في ثنايها الطالبات من مختلف الطوائف الدينية ،فكانت اليهودية والمسيحية والمسلمة [٣٠]وتتلقى فيها البنات دروسا في تعليم فن الخياطة والتفصيل والتطريز .وقد بلغ عدد الطالبات للعام الدراسي (١٩٣٢- ١٩٣٣) حوالي ٨٧ طالبة والواضح ان الكثير من الطالبات قد دخلن هذه المدرسة بهدف الافادة منها في الحياة العملية [٣١]

١٠) مدرسة التمريض للبنات : أسستها في بغداد عام ١٩٤٢ اليهودية نوشة شلوم من تبرعات الجمعيات الخيرية وتخرج هذه المدرسة فتيات يجدن فن التمريض وبلغ عدد طالبات هذه المدرسة عام ١٩٤٥ حوالي ٨٠ طالبة [٣٢]

١١) مدرسة مناحيم صالح دانيال الابتدائية للبنات : أسسها اليهودي المعروف مناحيم صالح واوقف قسما من املاكه لتصرف وارداتها على أمور المدرسة المالية , وكانت مدرسته تعد من ارقى مدارس البنات في بغداد , اذ كانت البنات تتلقى فيها دروسا في اللغة الانكليزية واللغة العبرية اضافة الى اللغة العربية وقد بلغ عدد طالباتها للعام الدراسي (١٩٤٩ – ١٩٥٠) حوالي ٤٦٠ طالبة بضمنها روضة تحتوي على ٤٢ طفل [٣٢]

١٢) مدرسة حسقيل مناحيم المهنية للبنات : أسسها في بغداد عام ١٩٤٧ وجعلها وقفا مع جملة املاك اخرى لتصرف وارداتها على المدرسة , وقد اطلق عليها اسم اخيه حسقيل وكانت تدرس المهن والصنائع والحرف للاناث الفقيرات من عوائل اليهود والمسلمين والمسيحين وقد بلغ عدد طالباتها للعام الدراسي (١٩٤٩ – ١٩٥٠) حوالي ١٢١ طالبة [٣٣] ولقد تخرج من هذه المدرسة على سبيل المثال طالبات اجدن فن الخياطة والتفصيل مثل اليهودية (سليمة صالح) في عكد اليهود و(ليلى بنت عزرا) في منطقة الفضل و(طوبة خليل) في منطقة محلة التوراة ،التي كان يسكنها غالبية من فقراء اليهود (٣٤)

١٣)المعهد العالي في بغداد:تأسس في أربعينات القرن العشرين ،وكان يضم في صفوفة الكثير من الطلاب اليهود ،اضافة الى المسلمين والمسيحين وامتاز هذا المعهد بتخريج طلاب يحملون شهادات عليا وبلغ عدد طلابه للعام الدراسي (١٩٤٦-١٩٤٧) حوالي ١٢٠ طالب ،كان بينهم عشرون من اليهود بواقع عشرة ذكور وعشرة بنات [٣٥]

ثانيا: الصحافة

شاركت المرأة اليهودية في المجال الصحفي اما كاتبة او مساهمة في اصدار الصحيفة وكان لها دور في كتابة بعض المقالات في الصحف والمجلات العراقية ومن ابرز الصحف والمجلات التي عملت فيها نساء يهوديات وهي :

١) صحيفة يشورون : أسسها كل من صينون ادرعي واختة ميسورة ادرعي عام ١٩٢٠ وكانت تتألف من ستة عشر صفحة بحجم صغير , وصدر منها خمسة أعداد ثم انقطعت عن الصدور [٣٦]

٢) صحيفة المصباح : اصدرها سلمان شينة عام ١٩٢٤ وهي صحيفة اسبوعية ادبية أجتماعية صدرت في بغداد وأستمرت بالصدور بشكل متقطع وتوقفت عن الصدور عام ١٩٢٩ وكان يقف وراء غلقها وزارة الداخلية بسبب تركيز أكثر مقالاتها على ضرورة تكلم اليهود باللغة العبرية بدلا من اللغة العربية ومن النساء اليهوديات التي كانت تنشر مقالات في هذه الصحيفة هي لمياء عزرا [٣٧]

٣) صحيفة الحاصد : اصدرها المحامي وألاديب انور شاؤل في بغداد عام ١٩٢٧ وهي صحيفة اسبوعية تصدر بشكل متقطع حيث اغلقت فترة وعاودت الصدور عام ١٩٣٠ وكانت نسيمة حنا تكتب فيها مقالات تناولت جانبا من حياة الطائفة اليهودية في بغداد مناسباتهم الدينية واحتفالاتهم وشعائرهم [٣٨]

٤) صحيفة دليل العائلة : أصدرتها فريدة موشي في بغداد عام ١٩٢٩ وهي خاصة بالقضايا الدينية واشارت في موضوع كتبته عن التداخل بين اللغة العربية واللغة العبرية اذ أرجعت اصل كلمة (مجلة) في اللغة العربية الى اصولها الواردة في اللغة العربية , اذ كان اليهود يكتبون التوارة والتلمود على جلود مدبوغة تخاط مع بعضها حتى تصبح على شكل طومار ويبلغ طولها اكثر من ١٢٠ متر بحسب حجم النص المدون من أسفار بعواميد او حقول مثل ماهي الصحف وكان طومار يلف على عصاتين وتتم القراءة من خلال تدوير العصا ليلف النص المقروء على عصا اخرى لذلك دعي الكتاب في العبرية مكلة (megilleh) وتعني الملفوف او المدروج او المجلة [٣٩]

٣) النشاط الفـني : لم ينحصر النشاط الفني في العراق عامة وبغداد خاصة بطائفة دينية معينة وظهرت على اساس ذلك مجموعة من الفنانات والمغنيات اليهوديات اللواتي كان لهن حضور في المجتمع البغدادي ومن ابرزهن نذكر :

١) الفنانة سليمة مراد : من مواليد ١٩٠٥ في بغداد بمحلة طاطران , نشاءت في بيئة بغدادية فقيرة وتعرفت على فرقة الجوق وعلى الجالغي البغدادي كما تعرفت على مشاهير المطربين والعازفين انذاك , وبدأت بالغناء في مرحلة مبكرة من حياتها اذ لحن لها اغلب اغانيها كل من الاخوين صالح الكويتي وداود الكويتي [٤٠] . وكانت سليمة مراد قد اكتسبت شعبية واسعة في اوساط البغدادية واصبح لها حضور على مستوى الوسط السياسي , اذ كان رئيس وزراء العهد الملكي (نوري السعيد) من اشد المعجبين بصوتها واطلق عليها لقب (سليمة باشا) وكانت تغني في صالة ملهى الهلال في منطقة الميدان ومن اشهراغانيها (أيها الساقي اليك المشتكى) و اغنية (قلبك صخر جلمود) واغنية (الهجر) وغيرها . ومن الجدير بالذكر ان سليمة مراد كانت رغم تدينها بالديانة اليهودية الاانها لم تغادر العراق ايام حملة تهجير اليهود ،وذلك عندما عمدت الحكومة العراقية الملكية الى اسقاط الجنسية العراقية عن كل اليهود لأجبارهم على الرحيل عام ١٩٤٨، فمقابل ذلك اصرت سليمة مراد على البقاء في العراق وتزوجت من الفنان العراقي المعروف(ناظم الغزالي) واشهرت اسلامها ، واستمرت في الغناء حتى السنوات الاخيرة من عمرها [٤١] ،اذ توفيت عام ١٩٧٤ في احد مستشفيات بغداد عن عمر يناهز السبعين.

كانت سليمة مراد بغنائها وصوتها الجميل قد شكلت ظاهرة أجتماعية في الاوساط البغدادية في وقتها فكتب عنها الشعراء والادباء امثال الشاعر (محمد مهدي الجواهري) الذي وصفها في قصيدة له قال فيها مانصه :

بين روض المنى وزهر الاماني
هتفت تبعث الشجى في الجنان
هي مثل الورقاء في أيكة الفن
تجيد التغريد في كل أن [٤٢]

كما وصفها الشاعر المرحوم (عبد الكريم العلاف) بقوله : ((أشتهرت بلقب سليمة باشا وظلت محافظة عليه لاتعرف الا به الى ان اصدرت الحكومة العراقية قانون بألغاء الرتب العثمانية , فصارت تدعى سليمة مراد ... وسليمة مغنية قديرة أخذت من الفن حظا وافرا فكانت البلبلة الصداحة والمؤنسة)) [٤٣] اما الناقد عدنان الحميري فقد وصفها بقوله : ((ان سليمة نالت مكانتها في قلوب البغداديين لانها غنت الشوق والحب وألالم الذي يشعرون به بفن يكاد يكون ساذجا غريزيا كما ان غنائها قد اغنى كثيرا فن بغداد الشعبي)) [٤٤] وكتبت عنها ايضا السيدة(دورين انغرامس) في كتابها الانكليزي بعنوان (النساء الناهضات في العراق) ذكرت فيه مانصه : ((ان سليمة مراد قد سيطرت على صالات الغناء خلال سنوات الثلاثين والاربعين وأستطاعت بحرمة نفسها ودماثة خلقها ان تعيد الى المغنية الاحترام والمنزلة المرموقة)) , كما ذكرت ايضا مانصه : ((.... ومثل ام كلثوم المصرية التي لاتنسى غنت سليمة الحب غيرالمتكافأ وخيبة امال الشباب وعذاب النساء وكبتهن للألم في صدورهن ...)) [٤٥]

٢) الفنانة سلطانة يوسف : يهودية من مواليد الموصل لعام ١٩١٠ من أسرة عراقية فقيرة أنتقلت مع عائلتها للعيش في بغداد عام ١٩٢٠ وبدأت الغناء في ملاهي بغداد حتى اصبحت مالكة لملهى (نزهة البدور) وتدرجت في الغناء فكانت مطربة معروفة في المقام العراقي , فلحن لها كبار الملحنين في ذلك الوقت مثل الاخوة صالح الكويتي وداود الكويتي وكانت تمتلك صوتا قويا ورخيما ميزها عن بنات جيلها , اذ حاولت سلطانة يوسف الوصول بفن المقامات لدرجة عالية من الحرفية الفنية, فقد كانت تشغل نفسها بأعداد الابوذيات والعتابات والمقامات التي كانت تؤديها بشكل بارع , لاسيما مقام البهيرزاوي وكان صوتها يتمتع بالجوابات العالية مما جعلها في مقدمة مطربي المقام العراقي في ذلك الوقت , وفي قمة مجدها اعتزلت سلطانة يوسف الفن وهي لم تصل ألاربعين من عمرها فخسر الناس والمجتمع البغدادي واحدا من اجمل الاصوات التي يندر وجودها وقيل انها اتجهت للعبادة وتوفيت عام ١٩٩٥ [٤٦]

٣) الفنانة نجاة العراقية : يهودية من مواليد ١٩٢٣ في بغداد وأسمها الحقيقي لويزا يعقوب وتنتمي لعائلة فقيرة تسكن في محلة التوراة ببغداد , أكملت تعليمها في مدرسة الاهلية للبنات ثم درست التمريض وعملت في مستشفى المجيدية لتعيل أسرتها , لكنها عشقت الفن وتركت التمريض لتتحول الى الغناء [٤٧] فغنت في ملهى الفرابي في بداية الامر ثم في ملهى الجواهري , الذي طردت منه بسبب الفنانة سليمة مراد التي أمتعظت من اعجاب الجمهور الحاضر في الملهى بصوت نجاة العراقية فكان قرار طردها من قبل ادارة الملهى كترضية للفنانة سليمة مراد التي كانت تغني في الملهى نفسة . لكن ذلك لم يمنع الفنانة نجاة من مواصلة الغناء في ملاهي اخرى ويذكرها الجمهور البغدادي بأغنيتها المشهورة

ابن عمي راح اموت بحسرتك
ماخذتني كل خطيتي بركبتك

وأشتهرت ايضا بأغنية (ربيتك ازغيرون حسن ليش انكرتني) وأغنية (دك الجرس على الباب حسبالي حبي) . وكان البير الياس من اشهر ملحني أغنياتها لا سيما البستات العراقية وتوفيت الفنانة نجاة في دارها ببغداد بصورة مفاجئة عام ١٩٨٩ [٤٨]

٤) الفنانة روز تومة وليلو تومة:وهن يهوديات معروفات في بغداد ببنات تومة، اما بدايتهن كمغنيات فكانت عام ١٩١٦ في(ملهى الشط) على نهر دجلة بجانب الكرخ وقد مارسن الغناء فيه بشكل يومي وكن معروفات بجمال الشكل والصوت [٤٩]

٥)الفنانة ريجينة مراد: من مواليد عام ١٩٠٠ ببغداد في محلة طاطران ،والاخت الكبرى للفنانة سليمة مراد. اشتهرت ريجينة بالرقص في الملاهي البغدادية لاسيما في منطقة الميدان وجمعت من وراء ذلك ثروة طائلة مكنتها من شراء قصر فخم في الصرافية ،كما كانت تملك سيارة ضخمة من نوع بويك بسبعة مقاعد تخترق شارع الرشيد ذهابا وايابا، وقد شاهدها الشاعر الشعبي المعروف الملا عبود الكرخي اثناء مروره في شارع الرشيد فهجاها قائلا:

شفتي ياروحي الحزينة
الضخمة سيارة رجينة[٥٠]

اما ريجينة فقد احبت شاب مسلم اسمه (محمد) فأسلمت وتزوجته ،الا انها لم تستمر معه ،فتزوجت للمرة الثانية من المهندس عبد الكريم، الذي قتلها اثر شجار بينهما ثم انتحر،ولقد افجعت حادثة قتلها البغداديين ،فعلى سبيل المثال وصف الملا عبود الكرخي حادثة قتلها قائلا:

اه يالدينار من جيبي طفر
صبحت ريجينة مضروبة طبر[٥١]

وشهدت مرحلة الثلاثينات من القرن العشرين ظهور العديد من الراقصات اليهوديات مثل(ريمة ام عظام) و(ريمة عكاك) وتسكن الاخيرة في منطقة عكد الجام في بغداد،وكن يرقصن في مختلف ملاهي بغداد وجمعن ثروة طائلة من ذلك وكن معروفات في المجتمع البغدادي [٥٢]

٦)فرقة الدكاكة: وهي عبارة عن فرقة نساء يهوديات ظهرت في عام (١٩٣٠) في بغداد،وكانت هذه الفرقة تقوم بالغناء في الحفلات والمناسبات عند سائر ابناء بغداد وتستخدم هذه الفرقة ادوات موسيقية مثل(الدنبك، النقارة،الدف) ومن اشهر مغنيات هذه الفرقة مسعودة البمبية واطلق عليها هذا اللقب لانها سجلت اغانيها على اسطوانات في بومباي عاصمة الهند ومن اشهر اغانيها :

عفاكي عفاكي على الفند اللي عملتينو
انا تعبت وانا أشقيتو على الحاضر اخذتينو[٥٣]

رابعا:النوادي الاجتماعية والمؤسسات الخيرية

١) نادي لورا خضوري: قام السير أيليا خضوري بتأسيس نادي ثقافي في بغداد عام ١٩٢٥،واطلق عليه اسم زوجته الراحلة (لورا خضوري) ،ويعد من النوادي الراقية في بغداد،اذ تميز بنشاطه الثقافي وجلساته الادبية. وابرز السيدات الاعضاء في النادي هن السيدة (ملدة سمرة) وهي سيدة ثرية وزوجة رجل القانون داود سمرة والسيدة (مسعودة) زوجة أبراهيم صالح الكبير مدير الحسابات العامة في الحكومة العراقية منذ عام ١٩٢١ ،وكل من السيدةمريم شاؤل والسيدة نعيمة بصري والسيدة ليلى خضوري أضافة الى السيدة حوري بنت رحمين دلال والدة الموسيقار يوسف سامي صالح [٥٤] ،وقد اشتهرت الاخيرة بقسم الخياطة في النادي ،أذ كانت تجيد تطريز الوسائد بخيوط الذهب والفضة،ففازت معروضاتها بجائزة الملك فيصل الاول عام ١٩٣٠ اثناء زيارته لنادي لورا خضوري في بغداد [٥٥]

٢) نادي مليحة أسحيق :وهو عبارة عن نادي ثقافي وادبي أسسته في بغداد الشاعرة مليحة أسحيق عام ١٩٢٦ ،ويحضر جلساته العديد من رجال الادب مثل الشاعر أبراهيم عوبديا والشاعر مراد خليل ، الذي القى في احدى الجلسات الادبية قصيدته المعروفة بعنوان (تحية لوطني العراق الحبيب) قال فيها :

ياوطني ياوطني
حبك قد تيمني
حبك أقصى مأربي
فأنت أمي وأبي
بل مطلبي بل مكسبي
ومقصدي في الزمن ... [٥٦]

٣)نادي الزوراء:أسسه مجموعة من أبناء الطائفة اليهودية في بغداد بمنطقة العلوية عام ١٩٣٠،وأطلقواعليه أسم نادي الزوراء ،وكان من بين الاعضاء المؤسسين الثرية اليهودية (ليلى بنت عزرا) والسيدة (نزيهة يوسف) . ومن الملاحظ على النادي انه لم يكن حكرا على طائفة اليهود بل كان فيه اعضاء من المسيحين والمسلمين ايضا ،وكانت تمارس فيه الرياضة الى جانب الانشطة الثقافية .

٤)نادي الرافدين :تأسس في منطقة العلوية ببغداد عام ١٩٣١ ،وكان يضم عضوية الكثير من اليهوديات الثريات مثل السيدة (زاهدة شلومو) والسيدة (حميدة بنت بصري) والسيدة (ليلى الياهو) ،اما من العضوات المسلمات فكانت شقيقة وزوجة جعفر باشا العسكري

٥) نادي الرشيد : تأسس في ثلاثينات القرن العشرين في بغداد وضم العديد من نساء الطائفة اليهودية ، اللواتي برزن بالنشاطات الثقافية والادبية .وقد اغلقت هذه النوادي جميعها بعد ترحيل اليهود عام (١٩٥٠-١٩٥١)وصودرت البنايات [٥٧]

ويمكن ان نستنتج مماتقدم عدة أمور أهمها :

اولا:أن اليهود كطائفة دينية عاشوا في العراق منذ أقدم العصور الى جانب المسلمين وتمتعوا بكافة حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ثانيا: تمتع أفراد الطائفة اليهودية بحقهم في التعبير عن الرأي والتعليم وممارسة الطقوس والشعائر الدينية

ثالثا: حصلت المرأة اليهودية على حقها في التعليم، فكانت اما طالبة او معلمة اسست العديد من المدارس التعليمية او الدينية التي ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل مدرسة مسعودة سلمان ومسعودة شمطوب

رابعا : كانت المرأة اليهودية تشكل جزء من المجتمع البغدادي لدرجة يصعب تميزها فهي تتكلم اللغة البغدادية وترتدي الزي البغدادي في محلات بغداد مثل عكد اليهود ومحلة التوراة والفضل والبتاوين وسيد سلطان علي

خامسا :شاركت المرأة اليهودية في مختلف النشاطات الفنية ،فظهرت فيهن الممثلات والراقصات اضافة الى المغنيات اللواتي مازالت اغانيهن تطرب أذان المجتمع العراقي بكل فئاته مثل نجاة العراقية وسليمة مراد

سادسا :ظهرت المرأة اليهودية في المجتمع البغدادي كسيدة مجتمع،وذلك من خلال تأسيسها لمجموعة من النوادي الثقافية والادبية

قائمة المصادر

١) رشيد الخيون :الاديان والمذاهب بالعراق،طبعة مزيدة ومنقحة،بغداد،٢٠٠٣، ص١١١ .

٢) احمد سوسة: ملامح من ألتاريخ القديم ليهود العراق، مجلة مركز ألدراسات الفلسطينية،بغداد،١٩٧٨،ص٣٣ .

٣) ألتلمود: وتعني ألتعليم وهو ألاسم ألذي أعطاه اليهود للكتاب ألذي يحتوي على ألشريعة أليهودية ألشفوية وأحكام ألربانيين ويتألف من جزئين رئيسين (ألمشينا) وتعني النص و(ألجمارا)وتعني التعليق على النص .وهناك نسختان من ألتلمود:ألتلمود ألفلسطيني أو ألاورشليمي ،الذي كتب في فلسطين وألتلمود ألبابلي ، ألذي كتب في بابل ولابد من ألاشارة الى أن التلمود غير ألتوراة، ألتي نزلت على ألنبي موسى عليه ألسلام،حيث دون بعده بأكثر من سبعة قرون،ينظر:أسعد رزق ،ألتلمود وألصهيونية،بيروت ،مركز ألابحاث،١٩٧٠،ص١٠١-١٠٢ .

٤) طه باقر :مقدمة في تاريخ ألحضارات ألقديمة ،بغداد ،١٩٥٦، ص٤٠.

٥) أورخان محمد علي :السلطان عبد الحميد ألثاني (حياته وأحداث عهده) ،ط١،بغداد ،١٩٨٧،ص١٨٧

٦) أبراهام بن يعقوب :موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى أليوم،علي عبد ألحمزة لازم ألناصري، مراجعة وتعليق جعفر عباس حميدي ،بابل ،٢٠١٠ ،ص٨٦

٧) خلدون ناجي معروف :ألاقلية أليهودية في ألعراق بين سنة ١٩٢١ و١٩٥٢،ج١،ط١، بغداد ،١٩٧٥، ص٢٥ -٢٦

٨) عباس ألعزاوي : تاريخ ألعراق بين أحتلالين ،ج٤، بغداد ، ١٩٣٦،ص٢٠-٢٢

٩) ساسون حسقيل :بن شلومو دايفيد (١٨٦٠ -١٩٣٢) يهودي عراقي ولد في بغداد،أكمل دراسة ألحقوق في فينا ،وشغل عدة مناصب حكومية منها عضو في مجلس ألمبعوثان ألعثماني للفترة من (١٩٠٨-١٩١٤) ،كماشغل منصب وزير المالية في ألعراق خمس مرات ،وعين عضو في مجلس النواب العراقي للفترة من (١٩٢٥-١٩٣٢) ،توفي في ٣١ أب ١٩٣٢ :للمزيد ينظر :نجدة فتحي صفوة،ساسون حسقيل ،مجلة مركز الدراسات الفلسطينية،العدد ٣٤،لسنة ١٩٧٧، ص٢٠-٢٤ .

١٠)حنا بطاطو :ألعراق (الطبقات ألاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية العراقية) ،ترجمة عفيف البزاز،ج١، ط٤،بيروت ،١٩٩٢،ص٢٨١
١١)حسين محمد القهواتي : دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩- ١٩١٤ ،بغداد ،مركز دراسات الخليج العربي ،١٩٨٠،ص٣٣٨
١٢) صابر طعمة :ألتاريخ اليهودي العام ،ج١ ،ط٢ ،بيروت ،١٩٧٥ ،ص١٤٨
13)Walid Khadduri: TheJewsof Iraq in The Ninettent Century,London, 1979, p.204
14)Kadduri:OP.Cit,p.205
١٥)يوسف رزق الله غنيمة :نزهةالمشتاق في تاريخ يهود العراق ،ط٣،بيروت،٢٠٠٦،ص٣٠٥
١٦)فاضل البراك :المدارس ليهودية والايرانية في العراق ،بغداد، ١٩٨٤ ،ص٢٩-٣٠
١٧)المصدر نفسه ،ص٢٩
١٨) شريف زكي :مدارس الاليانس في الوطن العربي، مجلة المثقف العربي ،العدد ١٩٨١،٥،ص٤٠
١٩)المصدر نفسه ،ص٤٣
٢٠) خلدون ناجي معروف :جوانب من التعليم اليهودي ببغداد ،مركز الدراسات الفلسطينية ،بغداد ،١٩٧٦، ص٢٠
٢١)المصدر نفسه ،ص٢٢
٢٢)خلدون ناجي معروف :الاقلية اليهودية في العراق ،ج١،ص١٥٨
٢٣) المصدر نفسه ، ص١٥١
٢٤) فاضل البراك ،المصدر السابق ،ص٣٥
٢٥) المصدر نفسه ،ص٣٦
٢٦) فيصل السامر :اليهود العراقيون (لمحات تاريخية) ، مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ،١٩٧٧، ص٤٤
٢٧) خليل احمد محمد :التعليم اليهودي في العراق ،مجلة أفاق عربية ،العدد ٨ ، لسنة ١٩٨٥ ، ص٤٥
٢٨) المصدر نفسه ، ص٤٧
٢٩) احمد برهان علي :مستقبل اليهود في العراق ، مركز الدراسات الفلسطينية ،١٩٨٠ ،ص٣٥
٣٠) خليل احمد محمد ، المصدر السابق ،ص٤٨
31)Cohen ,H:Anote on Social Change Among Iraqi Jews,1917-1951,Vol.7,London,1965,p.40.
٣٢)فاضل البراك ،المصدر السابق ،ص٣٦
٣٣)احمد برهان علي ،المصدر السابق ،ص٤٠
٣٤) فاضل البراك ، المصدر السابق ، ص٤٠ ؛خليل احمد محمد ، المصدر السابق ،ص ٤٨
٣٥) يوسف رزق الله غنيمة :المصدر السابق ،ص٢٩١
٣٦) عصام جمعة احمد المعاضيدي :الصحافة اليهودية في العراق(دراسة تحليلية لمجلة المصباح)،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب – جامعة بغداد ،١٩٩٥، ص٤٠
٣٧) صباح عبد الرحمن زنكنة : الطائفة اليهودية في بغداد ١٩٢١-١٩٥٢، اطروحة دكتوراة (غير منشورة) مقدمة الى معهد التاريخ العربي ، بغداد ،٢٠٠١، ص٤٥
٣٨) المصدر نفسه ، ص٤٦-٤٧
٣٩)صالح الكويتي وداود الكويتي :من عائلة يهودية ذات أصول عراقية ولدا في الكويت الاول من مواليد ١٩٠٨ والثاني مواليد١٩١٠ ،وقد أبدى الاثنان شغفا بالموسيقى منذ الصغر وتلقيا دروسا في العزف والغناء لدى الموسيقار الكويتي المعروف خالد البكر وتعلما الالحان الكويتية والبحرينية واليمانية و الحجازية . وفي عام ١٩٢٩ قررا الانتقال نهائيا الى بغداد ولحنا سويا العديد من الاغاني للفنانة سليمة مراد وكرمهما الملك غازي ساعة ذهبية بختمة الشخصي عام ١٩٣٦ ولقد تركا العراق عام ١٩٥١ بعد ان اسقطت الجنسية العراقية عنهما ورحلا الى اسرائيل حيث توفيا وعيونهم تبكي على العراق . ينظر : مازن لطيف،المدى ،صحيفة عراقية ،العدد ٢٠٤٦،١٧ شباط ٢٠١١
٤٠)موسوعة الديانات :يهود العراق بحث مصور ،مجلة الموسم ،اكاديمية الكوفة في هولندا ،١٩٩٩، ص٣٣
٤١) المصدر نفسه ، ص٣٥
٤٢) يوسف رزق الله غنيمة :المصدر السابق ،ص٣٠٢-٣٠٣
٤٣)علي بدر : حارس التبغ ،ط١ ،بيروت، ٢٠٠٨، ص١٨٠
٤٤- احمد عبد الله : التراث اليهودي ، صحيفة المدى ، العدد ٤٠ ، لسنة ٢٠١١
٤٥)علي بدر :المصدر السابق ،ص١٣٢
٤٦)اليهود العراقيون ،المدى ،صحيفة عراقية ،العدد ٢٤٤ ، لسنة ٢٠٠٦
٤٧) عبدالله خلف :الفن والطرب عند يهود العراق ،الحوار المتمدن ،صحيفة عراقية، العدد ٣٢٠ ،٢٠٠٦
٤٨)موقع كردستان أون لاين :شهيرات الطرب في العراق
٤٩)علي بدر ،المصدر السابق ،ص١٤٠
٥٠)المصدر نفسه

٥١)يوسف غنيمة ،المصدر السابق ،ص٣٠٦
٥٢) المصدر نفسه ،ص٢٩٦
٥٣)المصدر نفسه ، ص٣٠٩
٥٤) المصدر نفسه
٥٥)المصدر نفسه
٥٦)المصدر نفسه
٥٧)المصدر نفسه